ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

# لا أمل في أفق العرب إلاّ... المقاومة

**د. عصام نعمان**

يواجه العرب في حاضرهم تحدياتٍ خمسة: التحدي الأول محوره المجتمع. المجتمع في بلاد العرب يعاني في نسيجه تمزّقاً وتمزيقاً مزمنين. التمزّق ذاتي، مصدره تعدّدية عميقة، متجذّرة، ومرهقة اتسم بها المجتمع في مختلف مراحل تاريخه. التمزيق وافد، متواصل، شامل، وعنيف مصدره قوى خارجية طامعة، غازية، شرسة، ومقتدرة. كل ذلك أورث المجتمع في بلادنا، عموماً، حالاً من الحبوط والقنوط والانحطاط أوهنت، وما زالت، مختلف وجوه حياتنا المعاصرة .

التحدّي الثاني محوره السلطة. السلطة في بلاد العرب اتسمت، إجمالاً، بنزوع أهلها إلى طلب الاقتدار والاحتكار والتحكم والبطش كما الشغف بالمال والممتلكات والمتاع ناهيك عن الإثراء غير المشروع، والحرص على بسط النفوذ بالهيمنة والهيبة معاً ما أشاع ثقافة الفساد والزبائنية والمحاصصة.

التحدّي الثالث محوره الدين، ولا سيما الإسلام تحديداً الذي أورث، بتشعّب مفاهيمه ومذاهبه وتكاثر عصبياته وسوء استعماله في خدمة أهل السلطة، أورث انشقاقاتٍ عميقة، أسوأها وأخطرها الشقاقُ السني- الشيعي ما ساعد تنظيمات الإرهاب التكفيري، بدعم سخيّ أميركي وصهيوني بالمال والسلاح والرجال، في السيطرة على مفاصل الجغرافيا والإخلال بموازين الديموغرافيا في بعض الأقطار ومناطق البلاد. كلّ ذلك زاد نسيج المجتمع تمزيقاً وأفراده وجماعاته تشظّياً.

التحدي الرابع محوره شحّ في الموارد وأسباب العيش ناجم عن تخلّف في رعايتها وتنميتها، وتفاوتات واختلالات في تملّكها، وتحكّم في احتكارها، وسوء في توزيعها، ودور مؤذٍ للقوى الخارجية في استغلال اختلالاتها واحتكاراتها، وبالتالي ترسيخ سلوكية التبعية للأجنبي وشرعنة مشاركته في قضايا الشأن العام الداخلي وتوسيعها.

التحدي الخامس محوره اهتزاز النظام الدولي الناظم للعلاقات السياسية بين

الدول، الأمر الذي تسبّب بتداعي الدولة مفهوماً ومؤسسات – وهي الأساس في بنيته كما باختلال التعددية المجتمعية، وتزايد التدخلات الخارجية ما أدّى تالياً الى نشوء كيانات قَبَلية ومذهبية وإثنية متمايزة داخل إطار الدولة التقليدية الهشة والمتداعية، والى نزوع القائمين على تلك الكيانات للاستعانة بقوى خارجية بغية توطيد سلطتهم مقابل أجور وبدلات وعمولات تُقتطع من موارد البلاد.

ذلك كله أرهق النظام الإقليمي المتمثل في جامعة الدول العربية وصدّعه وأورث حروباً أهلية مستعرة ومستمرة. وفي سياق حال الحبوط والقنوط والانحطاط الراهنة، تتبدّى باطراد إرهاصات وبوادر ولادة منظومة إقليمية مغايرة ومتراخية قوامها كيانات سياسية وأثنية وعسكرية متمايزة ذات هوّيات متعددة ومتصادمة.

هل من آفاق للمستقبل في بلاد العرب؟

تبدو الآفاق في بلادنا ضيقة وحالكة نتيجةَ التحديات والاختلالات سابقة الذكر. فلا أهداف ولا صبوات مشتركة ذات شعبية وازنة بل ثمّة ضمور لافت لقضية الوحدة، وانحسار متواصل لقضية فلسطين بما هي قضية العرب المركزية وذلك في غمرة تصعيدٍ منهجي للاستعمار الاستيطاني الصهيوني وتحالف ضمني بين أميركا ووكلائها المحليين لإحلال إيران محل «اسرائيل» كعدو قومي للعرب. في ضوء ذلك كله، لا غلوّ في القول إنه بات لكل قطر عربي، عقب ما يسمّى «الربيع العربي» وفي غمرة اضطراباته الداخلية وحروبه الأهلية ودعم الولايات المتحدة مباشرةً أو مداورةً لتنظيمات الإرهاب التكفيري، قضيته المركزية الخاصة به.

غير أنّ ضيق الآفاق وحلكتها لا يحجبان ظاهرةً بازغة. إنها نجاح القوى الحية في معظم أنحاء بلادنا العربية في استيلاد مقاومة متنامية، ميدانية وثقافية، ولا سيما في فلسطين ولبنان وسورية والعراق واليمن، ناشطة ضدّ أميركا و«إسرائيل» وحلفائهما المحليين والأطلسيين.

المقاومة الميدانية تبدو مصمّمة ومثابرة على ترسيخ سلوكية الصمود والتصدي والمواجهة، وعلى بناء القدرة والفعالية اللازمتين لإلحاق الهزيمة بالعدو الصهيوني، بدليل ما حدث في الحرب ضد لبنان والمقاومة سنة ٢٠٠٦، ولإلحاق الهزيمة بالإرهاب التكفيري وحليفيه الأميركي والصهيوني، بدليل ما حدث ويحدث في سورية والعراق واليمن خلال السنتين الأخيرتين وفي الوقت الحاضر.

المقاومة الثقافية ما زالت مقصّرة في التصدّي لخصومها التقليديين الماضويين المدعومين من الجماعات العنصرية، وبعضها حاكم ونافذ في أميركا وأوروبا. صحيح أنّ روّادها نجحوا في تجاوز سياسة التبعية للغرب الإمبريالي ولمعظم وكلائه المحليين، لكنهم ما زالوا أسرى تفكير ماضوي راسخ بمفاهيم وقيم وتقاليد شائخة. من هنا تستبين الحاجة التاريخية إلى انتزاع دورٍ فاعل للثقافة الحرة الناقدة في مسار بناء نهضة عربية شاملة. ذلك لا يتحقق إلاّ بثورةٍ في فهم الإسلام ومفاهيمه تكفل إقصاء فقهاء السلاطين وفقههم، وتجاوز أشياخ الجاهلية المعاصرة، واعتماد أرقى مناهج العلم والفن والتكنولوجيا، والإفادة من منجزاتها المضيئة بغية بناء الدولة المدنية الديمقراطية على أسس الحرية، وحقوق الإنسان، وحكم القانون، والعدالة، والتنمية.

من مجمل ما تقدّم بيانه يتضح أنّ بلاد العرب تعيش مخاضاً عميقاً وطويلاً، تعتمل في مختلف جوانبه تحديات وعوامل سلبية كابحة ومترافقة مع صراعات محمومة بين ثلاث قوى إقليمية نافذة، إيران وتركيا و«إسرائيل»، تُقابلها وتواجهها مبادراتٌ وحركاتُ مقاومةٍ مدنية وميدانية وثقافية صاعدة، ترنو الى المشاركة في صناعة نهضة شاملة، وتؤشر الى نجاحات واعدة.

# لماذا تتصدّر الإمارات معركة الساحل الغربي؟

**علي مراد**

تتوالى هزائم الغزاة على أبواب مدينة الحديدة ومدرج مطارها، في استماتة لتحقيق نتائج يصبو إليها الإماراتيون والسعوديون ومن خلفهما تكتّل من قوى الاستعمار الذي تتزعّمه واشنطن. أكثر من شهر على بدء معركة الساحل الغربي اليمني، وقوى العدوان لم تنجح إلا في وضع قواتها من المرتزقة في مصيدة الحصار والاستنزاف. لكن لماذا هذه الاستماتة للسيطرة على الحديدة وميناءها؟

منذ العام الماضي يحاول تحالف العدوان على اليمن انتزاع أي انتصار لتثميره على طاولة المفاوضات مع حركة انصار اللّه، وقد ترجمت ذلك الزيارات المشبوهة للمبعوث الأممي السابق ولد الشيخ أحمد ثم سلفه مارتن غريفيث عند كل هجوم شنّته قوات أبوظبي والرياض. موظف الامم المتحدة كي يحط في صنعاء على وقع فوّهات المدافع والغارات الجوية والزحوفات البرية. الواقع أن غريفيث في زيارتيه الأخيرتين لم يكن يحمل عروضاً تفاوضية كما تؤكّد مصادر يمنية مطّلعة، بل شروط دول العدوان المطلوب تنفيذها، وإلا استمرار القصف والحصار والتجويع.

اللافت في معركة الساحل كان تصدّر الإمارات المشهد القيادي اكثر من السعودية هذه المرة. يبدو أن واشنطن قرّرت إيكال مهمة الهجوم على الحديدة لأبوظبي لعدّة اعتبارات، اهمها علاقة الاماراتيين وتنسيقهم عالي المستوى مع الاسرائيلي، وأيضاً بسبب خيبة الأمل الاميركي من الأداء السعودي العسكري الضعيف في العدوان. الواقع أن أبوظبي تعتبر معركة الحديدة معركتها، رغم أنها فضّلت منذ بداية العدوان على اليمن العمل في مناطق الجنوب اليمني. سارعت أبوظبي مبكّراً لوضع يدها على الموانئ الساحلية الجنوبية مع انسحاب قوات الجيش واللجان الشعبية في ربيع ٢٠١٥، وشرعت ببناء منشآتها الخاص في أكثر من ميناء على امتداد الساحل الجنوبي من الحدود مع سلطنة عمان شرقاً الى ميناء عدن غرباً، وحرصت على السيطرة على الجزر اليمنية المنتشرة في بحر العرب وأهمها جزيرة سوقطرى وصولاً الى جزيرة ميون عند مضيق باب المندب. على الجهة الأخرى من سواحل القرن الأفريقي، عملت الامارات على بناء قواعد عسكرية ووضعت يدها على موانئ مهمة في أريتريا وجيبوتي والصومال (مؤخراً وقع خلاف اتّهمت فيه مقديشو الإماراتيين بمصادرة السيادة الصومالية). إذاً يتّضح ان الإماراتيين يهدفون لوضع يدهم على ساحلَي اليمن شرقاً والقرن الإفريقي غرباً لما تمثّله المنطقة من موقع جيوستراتيجي للتجارة الدولية وحركة الملاحة العالمية.

لمدينة الحديدة وميناؤها أهمية كبيرة في قلب مشروع الهيمنة الذي تسعى الإمارات فيه لتكون وكيلة كل من واشنطن و"تل أبيب" في الجزء الجنوبي من غرب آسيا. لم يستطع رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو قبيل بدء العدوان على اليمن أن يخفي قلقه من وجود حركة أنصار اللّه عند مضيق بابا المندب وقد حذّر هو وجيشه من خطورة ذلك على مصالح "الكيان الاسرائيلي" الجيوستراتيجية. يضاف الى الأهداف الاستراتيجية للسيطرة على الحديدة ما جاء على لسان الجنرال السعودي المتقاعد أنور عشقي في لقائه عام ٢٠١٥ مع دوري غولد مدير عام وزارة الخارجية الاسرائيلية السابق، خلال ندوة نظّمها مجلس العلاقات الخارجية الأميركي. في حينه تلى عشقي خطة سمّاها "خطة العمل المشتركة الاسرائيلية السعودية"، وفي بنود الخطة السبع بند أشار فيه الى جسر يصل قارتي آسيا وأفريقيا من ميناء النور في جيبوتي الى ميناء الحديدة، الذي سيربط اتحاداً في القرن الإفريقي مع اتحاد في شبه الجزيرة العربية (الاتحاد الخليجي).

قبل ستة أيام نشر وزير الدولة الاماراتي أنور قرقاش مقالاً في صحيفة "التلغراف" البريطانية بعنوان "لهزيمة الحوثيين في اليمن، يجب أن نحرر الحديدة". في مقاله يقول قرقاش بوضوح أن "خيار السيطرة على الحديدة يعدّ الأخير المنطقي المتبقي"، ليتّهم بعثة الأمم المتحدة لمراقبة وتفتيش السفن في ميناء الحديدة بالتقصير و"عدم قدرتها على وقف عمليات تهريب السلاح للحوثيين". وعاد قرقاش قبل يومين ليغرّد من حسابه على تويتر بأن "السيطرة على الحديدة ستؤدّي إلى تقصير مدة الحرب". هنا يتّضح الهدف المباشر لمعركة الحديدة، بحيث يتأكّد الرأي القائل بأن تحالف العدوان يسعى لاستعمال السيطرة على الميناء (شريان الإغاثة والمساعدات الوحيد لمناطق سيطرة المجلس السياسي الأعلى) والتحكّم بتوزيع شحنات الدواء والغذاء والوقود لابتزاز أنصار اللّه في صنعاء ودفعهم للاستسلام. بكل وضوح يعبّر قرقاش عن نوايا استعمال التجويع كسلاح حرب وهو من أكبر الجرائم بموجب القانون الدولي الانساني. لكن كلاً من أبوظبي والرياض تعرفان مسبقاً عواقب هذه الخطوة على مستوى الدولي، لذلك قامتا بالاعلان في مؤتمر صحفي الاسبوع الماضي عن ما سمّتاه "مبادرة إنسانية وجسر إغاثي جوي وبحري لمساعدة سكان الحديدة"، مدّعيتان انهما بصدد إغاثة نحو ٦٦٠ ألف يمني، دون إغفال تحميل حركة انصار اللّه مسؤولية الجوع والأمراض وسوء الأحوال الإنسانية في الحديدة وباقي المناطق اليمنية.

الإمارات التي جنّدت قوات سلفية قاعدية (ألوية العمالقة) من الجنوب اليمني وفلول قوات علي عبداللّه صالح ومرتزقة من السودان وشركات أمنية متعددة الجنسيات، تبدو مرتاحة لجهة عدم تحمّلها خسائر مباشرة من جنودها في المعركة، فبالنسبة لها اليمنيون يقتلون بعضهم بعضاً في هذه المعركة، وهي تجد نفسها غير مضطرة لتحمّل أعباء أخلاقية ونفسية أمام المرتزقة الذين جندتهم، فجثث هؤلاء المنتشرة على طول الخط الساحلي تتحلّل على الاسفلت وعلى جوانب الطرقات دون أي اكتراث باسترجاعها. لكن ليس من مصلحة ابوظبي ولا الرياض ولا واشنطن من خلفهما أن تطول مدّة هذه المعركة، لأن الرأي العام الدولي هذه المرة يصرخ ويحذّر من تبعات هذه المعركة على الجانب الإنساني منذ ما قبل بدايتها، والأكيد أن منسوب الاعتراض حتى داخل واشنطن نفسها سيزيد في الأيام القادمة.

# المجموعات المقاتلة مع 'داعش' في البادية السورية

**نضال حماده**

يعمل "داعش" الإرهابي على العودة والتثبيت على جانبي الحدود السورية العراقية مستفيداً من حالة الفوضى الميدانية والإشتباك الدولي الموجود هناك بفعل بقاء القاعدة الأمريكية - البريطانية في معبر التنف على المثلث الحدودي بين سوريا العراق والأردن. ويعتبر التنظيم أن وجوده على جانبي الحدود مسألة حيوية بالنسبة له تجعله قادراً على التحرك بحرية في ظل الإشتباك الدولي هناك. ويرى قادة "داعش" أن أساس قيام سلطتهم منذ العام ٢٠١٣ الى بداية عام ٢٠١٨ في سوريا والعراق يعود إلى حالة الفوضى السياسية والأمنية التي عاشتها البلدان خصوصا بعد المظاهرات التي اندلعت في الانبار عام ٢٠١٣ وبعد بدء الحرب في سوريا وتمددها الى كافة أنحاء القطر السوري في نفس العام ما سهل للتنظيم الدخول إلى سوريا عبر عملية كسر الحدود في نيسان عام ٢٠١٣ ومن ثم السيطرة على الموصل يوم ٩ حزيران عام ٢٠١٤ ومن ثم السيطرة على مدينة الرقة في آب من نفس العام.

تنظيم "داعش" يعمل داخل البادية السورية في مثلث تدمر – دير الزور – البوكمال وينتشر على مساحة تقارب السبعة آلاف كلم داخل البادية معتمداً على الهجمات السريعة والمفاجئة، وغالبية هجماته تتم على طريقة الغزو البدوي للحصول على الغذاء والوقود حالياً مع محاولة التثبيت في منطقة حضرية تؤمن له مكان تمركز وانطلاق لاستعادة السيطرة على جانبي الحدود، وبالتالي الإستفادة من التنقل والتخفي في تلك المناطق، من خلال اللعب على مسألة الحدود القطرية والتناقضات الدولية.

ويمكن تقسيم مجاميع المسلحين الإرهابيين الذين يعملون تحت راية "داعش" الى ثلاثة أقسام:

١: بقايا التنظيم من الأجانب والعراقيين والسوريين وهؤلاء في حالة انقطاع تام عن قياداتهم السابقة، التي قتل غالبيتها واختفى من بقي منها على قيد الحياة، لا يستطيعون التواصل حتى لا ينكشف مكان وجودهم، وهؤلاء يقاربون الـ ١٥٠٠ مسلح.

٢: بقايا المسلحين من التنظيمات الأخرى خصوصا "النصرة" وجماعات محلية وهؤلاء يعتمدون على معرفتهم بالصحراء وامكان وجود الماء فيها فضلاً عن علاقاتهم بشبكات تهريب البضائع والسلع عبر الحدود ولديهم علاقات قربى وتواصل مع الرعاة وتجار الغنم الناشطين بالتهريب من سوريا الى العراق.

٣: مسلحون مرتزقة يأتي بهم الأمريكي والسعودي من الحسكة والرقة والقرى الصغيرة داخل البادية وهؤلاء يعملون على "القطعة" ويدفع لهم على المهمة.

وتتمركز القوة الأساس في التنظيم بمنطقة غباجب على بعد ٢٥ كلم من دير الزور حيث حفر التنظيم أنفاقا في الصحراء. يأتي تركيزه على الحضور في هذه المنطقة بسبب وجود عشرات آبار المياه هناك فضلاً عن قربها من الحدود العراقية ووقوعها على طريق دمشق دير الزور السريع، وبالتالي ارتباطها بمثلث التنف الحدودي بين سوريا والعراق والأردن.

في شهر نيسان الماضي شن الجيش السوري وحلفاؤه هجوماً في ريف حمص الشرقي لحصار "داعش" وتأمين المحطتين الثانية والثالثة ومثلث بلدة حميمة ومنطقة سد الوعر وصولا الى الحدود مع العراق، وقد أعلن الإعلام الحربي ان الجيش السوري وحلفاءه استعادوا السيطرة على منطقة بئر عطشان وآبار الورط وادي اللويزة وتل شديد.

وتكمن أهمية النقاط المذكورة في كونها متقاربة من بعضها البعض جغرافيًا، وهو ما يساعد قوات الجيش السوري وحلفاءه على جعلها نقطة دفاع متقدمة في البادية السورية، فضلًا عن وجودها ما بين منطقة حميمة وسد الوعر، وقد توغل الجيش وحلفاؤه حوالي ٦٠ كلم في عمق البادية الى الجنوب الغربي لمدينة دير الزور ووصلوا الى الطماح وفيضة بني مونع.

# ملف النازحين: استحقاق يجب أن يُسرع العملية السياسية السورية!

**محمد علي جعفر**

كغيرها من الدول، يُشكل ملف المهاجرين أو النازحين نتيجة الحرب في سوريا، بالنسبة للدول الأوروبية أزمة تحتاج الى حلول. وهو ما أبرزته التصريحات الكلامية المستفزة بين فرنسا وإيطاليا، بعد أزمة مهاجري سفينة "اكاريوس" التي رفضت ايطاليا استقبالهم. لكن الفارق بين أوروبا وغيرها أن دولاً تابعة للإتحاد الأوروبي كانت شريكة في أسباب تهجير الملايين من شعوب العالم العربي.

مُعضلة المهاجرين بسبب الحروب، هي إحدى معضلات العصر الحالي، في ظل التوترات التي تعيشها منطقة الشرق الأوسط، والآثار التي خلفتها حروب الغرب الإستعمارية تحت عناوين متعددة. والأمر البالغ الأهمية، هو أن لهذه الأزمة أسباباً لا يمكن تجاهل دور الدول الأوروبية في تأجيجها، خصوصاً عندما يتعلق بالأزمة السورية والدور التخريبي لهذه الدول.

من جهة أخرى، تطرح الدول بأسرها ملف المهاجرين أو النازحين، كمسألة تخص الأمن القومي، وهو ما يرتبط حقيقةً بالأمن الإجتماعي والإقتصادي لأي دولة. ما دفع الدول الغربية مثلاً، لإبتكار سياسات متناقضة تُعبِّر عن ازدواجية واضحة في المعايير. حيث تلجئ الدول الأوروبية الى سياسات منع دخول المهاجرين الى بلادها، فيما تُطالب دول أخرى خارج الإتحاد الأوروبي بضرورة تأمين حياة كريمة للاجىء!

معضلة المهاجرين أو اللاجئين التي باتت أزمة أكبر من أي دولة، تتكون من عدة نواح يجب الإشارة اليها عند مقاربة الموضوع. الظروف الإقتصادية الصعبة للدول، تناقض الثقافات بين الفئات المهاجرة والدولة التي يلجؤون اليها والصراع الثقافي الذي ينتج عن ذلك وتحوّله الى تهديد اجتماعي، الشروط التي تفرضها الدول على المهاجر وما يترتب عليها من نتائج قاسية على المهاجرين، بالإضافة الى نواحي أخرى تجعل من أزمة المهجرين أو النازحين تحدياً أمام أي دولة.

وبين الشأن الأخلاقي والإنساني للقضية من جهة، والواقع الذي تعيشه الدول من جهة أخرى، باتت مسألة المهاجرين أزمة يتم إدخالها في زواريب السياسة الضيقة. دون النظر الى أسبابها الحقيقية وأبعادها المختلفة. مما جعلها استحقاقاً يجب التعاطي معه بحذر مع مراعاة الجوانب الأخلاقية والإنسانية التي تراعي كرامة الإنسان. فيما يبقى الحل الأمثل، العمل الدؤوب والصادق لإعادتهم الى أوطانهم لا سيما من خلال تفعيل العمل الجدي لإنهاء الصراعات ودعم التحول الى عملية سياسية تضمن عودة النازحين الى أوطانهم.